خليص في التاريخ المنسي (4)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

لم تنشأ مشيخات في خليص سوى (مشيخة العسوم) برز شيوخ : بعضهم يتكئ على واصلة من شرف لقاء الملك عبدالعزيز ، وبعضهم بدعم من مشيخة آل مبيريك ، وبعضهم بالتوريث ، وبعظهم رأس عائلة .

وهم قامات ومقامات ، وواجهات تحظى بالقبول ، وعلى كفاءة عالية في إدارة شؤون قبائلهم ، وتمثيلها في الدوائر الرسمية .

وقد أشرنا إلى أسماء هؤلاء وتشكيلهم القبلي ، ومواطن نفوذهم ، وحدود سلطتهم عند مقدم الشيخ حسن بن عبدالصمد الشيخ إلى خليص في كتابنا سيرة الشيخ حسن بن عبدالصمد الشيخ - ط١ (١٤١٩ - ١٩٩٨) جده - ج١ - ص١١٤ - ١٣٠ ولا نرى ضرورة تكراره .

ولم تكن خليص - آنذاك - منفصلة عن ذاكرته ؛ فقد عاش بها جده محيي الدين ووالده الشيخ عبد الصمد فترات زمنية متباعده ومتواصلة، وعاش بها ودفن عمه الشيخ عبدالرحيم وأخوه شاكر ، ولهم بها ملك متوارث .

ونضيف : من المؤكد انه زارها اكثر من مرة ... " لكنه هذه المرة لم يأت ضيفاً ولا زائراً ، أتى ليجد مقاماً مريحاً ، ولم يكن سهلا ومتاحا أنذاك في خليص !!! حيث يستوطن خليص أكثر من تسع عشرة قبيلة : تتوزع أحياءها ... ومناشط العمل بها ، ويتقاسم شيوخها كامل الزعامات ؛ بل ويتنافسون ... ويقتطع الأكثر حضورا مساحة من صلاحيات الأقل عزوة . وهذا القادم - الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين على أعلى تقدير - قد سبقته لامحالة ظلال شهرة - هي امتدادات في بعضها لأبيه ، وهي امتدادات في بعضها لعائلته ، وهي امتدادات في بعضها لشخصيته التي حوت كل مقومات الزعامة الشعبية في وضوح تدركه عين المراقب من اللحظة الأولى على المستوى البدني والمستوى الذهني ، ومستويات الثقافة الدينية والكسب العملي ، مع ممارسة انتقائية للأعراف ... وانفتاح على المتغيرات . وبالتالي لم تفتح له الأبواب دفعة واحدة ؛ بل قوبل بحذر شديد ...

ولم تلبث شهرة الشخ حسن بن عبدالصمد الشيخ " أن تجاوزت حدود المحلي إلى الخارجي من القرى والبوادي والحواضر ، ولم تكن وقتية - شهرة الموقف الواحد ؛ بل كانت من ذلك النوع الذي يلازم العظماء من الرجال ، ويصبح كظله . لا تعنيه التراتيبه والفروق بين العامة والنخبة ، ولا ينشغل بجدولة مواعيد مقابلته .

إن الأدلة على مكانة هذا الرجل ليست فقط شهادات الذين سبقوه او لحقوا به بعد أن عايشوا حياته عن قرب ؛ بل هي شهادات الذين سعدوا بصحبته في اخريات أيامه ... وشهادات الذين سمعوا به ولم يروه لبعد المسافة أو لأن الموت كان اقرب وأسبق ؛ فعظمة الرجال تقاس بمقياس الثناء عليهم بعد رحيلهم وتلك هي الحقيقة الأساسية التي نستمد منها مشروعية الكتابة عن الرجال .

خلاصة القول ؛ وليست نهايته :
يمكننا أن نقول مطمأنين : أن خليص دخل مرحلة جديدة من تاريخه بمقدم الشيخ حسن بن عبدالصمد الشيخ ؛ حتى أننا يمكن أن نؤرخ - ماقبل ومابعد - ليس في الشأن المحلي ، وبناء شبكة من العلاقات الإجتماعية فقط ؛ بل تعداه إلى قيام حالة أخذت بأسباب التقدم على كافة الأصعده ، وصاحبها انفتاح على الثقافات الأخرى ، وتغيير في مفهوم (الشيخة) وفلسفة الإنتماء = من القبيلة إلى المكان ...

محمد علي الشيخ